

في: 2011/4/11

حرب ناعمة وحرب صلبة على لبنان:

النتائج

د. محمد طي

تتعرض بلادنا وامتنا لمحاولات قديمة جديدة من أجل صياغتها وإدراجها في مشاريع القوى الاستكبارية التي ترسمها للمنطقة وحتى للعالم، ولا تدخر هذه القوى وسيلة من الوسائل إلا وتستخدمها من أجل تحقيق أهدافها.

ولبنان بالذات، وبسبب من تكوينه الخاص وظرفه المتميز، يحظى بالاهتمام غير العادي من قبل تلك القوى، التي تمارس في مواجهته كافة الأساليب الممكنة، مستخدمة وسائلها المختلفة بالأشكال التي تعتقد أنها الأكثر ملاءمة.

فهي تستخدم القوة بمعناها، الأشمل، وهي القدرة الموظفة لتحقيق الأغراض الخاصة بها، والتي يعرفها جوزيف ناي بأنها: "القدرة على الحصول على النتائج التي يريدها المرء.. (و) هي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها..."¹. وهذا التعريف ينطبق على القوة الغالبة الموجهة إلى طرف معين، وليس على مجرد القوة، وهي ما يعيننا في بحثنا هذا.

وهذه القوة لا تتخذ شكلاً واحداً، بل تتعدد أشكالها في مواجهة الآخرين بقصد جعلهم يستجيبون لإرادة مستعمل القوة، فقد يستخدم هذا القوة المسلحة أو الإغراء بالمال، أو الإقناع. إذاً هناك طرق "عديدة للتأثير على سلوك الآخرين، كأن تستطيع إرغامهم بالتهديدات، أو تستطيع إغراءهم بدفع المال، أو تستطيع أن تجتذبهم وتقنعهم بأن يريدوا ما تريد"².

والقوة الصلبة هي التي تقوم على التهديد أو الإكراه أو على الرشوة للحصول على ما يراد. فهي "تتركز على المغريات (الجزرات) أو على التهديدات (العصي)"³.

لكن هذه ليست كل أشكال القدرات فقد يحصل المرء على النتائج التي يريدها "دون أي تهديدات ملموسة أو رشاوى مباشرة. أما الطريقة غير المباشرة للحصول على ما نريد فتسمى أحياناً "الوجه الثاني للقوة. فقد يتمكن بلد ما من الحصول على النتائج التي يريدها في السياسة العالمية، لأن هناك بلداناً أخرى معجبة بمثله وتحذو حذوه وتتطلع إلى مستواه، تريد أن تتبعه.

1- جوزف س. ناي، القوة الناعمة ترجمة محمد توفيق البجيرمي، دار العبيكان 2007 ص 20.

2- المصدر نفسه

3- المصدر نفسه ص 24

وبهذا المعنى، فإن من المهم أيضاً وضع جدول الأعمال (أي وضع البرنامج للآخرين) واجتذاب الآخرين في السياسة العالمية، وليس فقط إرغامهم على التغيير بتهديدهم بالقوة العسكرية أو العقوبات الاقتصادية. فهذه (هي) القوة الناعمة- جعل الآخرين يريدون ما نريد، نختار للناس بدلاً من إرغامهم¹.

أما ما تتوسله القوة الناعمة فهو الجاذبية الشخصية والمثل السياسية، التي تؤسس لمشروعية التصرفات في نظر المستهدفين من هذه القوة، مما يؤدي إلى انجذابهم إلى القيم المطروحة، وبالتالي إلى مسايرة الأغراض المرجوة، "دون حدوث أي تهديد.. (فعندما) يتقرر سلوكي من خلال جاذبية يمكن ملاحظتها ولكنها غير ملموسة، فإن القوة الناعمة تكون شغالة"²، ومن هنا يمكننا أن نعرّف القوة الناعمة من الناحية العملية: "بأنها امتلاك القدرات أو الموارد التي يمكنها أن تؤثر على النتائج. وبناء على ذلك (يمكن) اعتبار بلد ما قوياً، إذا كان لديه عدد سكان وإقليم جغرافي كبيران نسبياً وموارد طبيعية واسعة وقوة اقتصادية وقوة عسكرية واستقرار اجتماعي"³.

والقوة الناعمة هذه ضرورية للدول "الديمقراطية" المضطرة إلى الإقناع بدلاً من القسر. فهي لهذا عنصر ثابت في السياسة الديمقراطية... (التي تعتمد مثلاً) الشخصية الجاذبة، الثقافة، المؤسسات والقيم السياسية، السياسات التي يراها الآخرون مشروعة أو ذات سلطة معنوية أو أخلاقية.. (وهي) أكثر من مجرد الإقناع أو القدرة على استمالة الناس بالحجة، هي أيضاً القدرة على الجذب، والجذب كثيراً ما يؤدي إلى الإذعان"⁴.

وحتى نستطيع القوة الناعمة تحقيق أغراضها، لا بد لها من قبول المتلقي، وقبول المتلقي يرتبط بأن يطرح له ما يرغب به. "فعندها نقيس القوة بمعايير تغيير سلوك الآخرين، فإن علينا أن نعرف أولاً ما هي الأشياء التي يفضلونها، وإلا فنسكون مخطئين في معرفة قوتنا".

لكن إذا تعارض ما يرغب به المتلقي مع ما يريده المرسل (صاحب القوة) فما الحل؟ إن الحل هو بالتأثير لتغيير القنوات والمطالب وما يفضل. من هنا كانت ضرورة استخدام الأدوات المؤثرة، وهذه الأدوات يمكن أن تكون وسائل الإعلام، أو الشركات التي تقدم برامج معينة، أو إقامة العلاقات الشخصية مع أفراد وجماعات أساسيين، أو الوسائل المخبرانية، أو التمويل السري للحفاظ على السيطرة....

1- المصدر نفسه ص 25

2- المصدر نفسه ص 26

3- المصدر نفسه ص 21

4- المصدر نفسه ص 25

فالمؤسسات الإذاعية والتلفزيونية التي يستخدمها الأميركيون لنشر الأخبار بلغة المتلقي، والموسيقى الشعبية المحببة، واستخدام الوسائل الإعلامية التي ينشئها الآخرون هي خطوة في الاتجاه الصحيح¹. وكذلك فإن إنشاء مكاتب الدعاية، لا سيما عندما يستطيع المرسلون الهام أحلام الآخرين ورغباتهم بفضل إتقانهم للصور العالمية، عن طريق الأفلام والتلفزيون² هي من الأشياء الأساسية.

على أنه لا يمكن استبعاد نشر الأخبار الكاذبة ودفع الآخرين إلى نشرها، كما كان يفعل مكتب التأثير الاستراتيجي التابع للبتاغون، الذي كان يقدم مواد إخبارية "قد تشمل أخباراً مزورة إلى منظمات إعلامية أجنبية في محاولة للتأثير على البلدان الصديقة وغير الصديقة على حد سواء". وكذلك فإن الشركات يمكن أن تؤدي دوراً قيادياً في رعاية مشاريع محددة للدبلوماسية العامة، كشركة تكنولوجيا تعمل مع ورشات عمل (مثل) افتح يا سمسم... أو في إنتاج مشترك لبرامج الأطفال....

كما تلعب البعثات الدراسية في الاتجاهين بين المتلقي والمرسل، وكذلك تدريب الضباط والعلاقات طويلة الأمد مع شخصيات. وهو أسلوب استخدمته أميركا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث "اشترك سبعماية ألف شخص في المبادلات الثقافية والأكاديمية الأميركية، وهي مبادلات ساعدت على تثقيف قادة عالميين مثل أنور السادات وهيلموت شميدت ومارغريت تاتشر... (لقد) شارك في المبادلات المذكورة أكثر من مائتين من رؤساء الدول الحاليين والسابقين، وأن نصف زعماء الائتلاف ضد الإرهاب اليوم كانوا ذات مرة (أعضاء) في تلك المبادلات"³.

كما أن "تبادل معلومات المخابرات مصدر مهم من مصادر القوة الناعمة... إن تقاسم المعلومات السرية قد يكون له تأثير مباشر وقوي على السياسة، فالمعلومات... يمكنها في بعض الأحيان أن تغير سياسة حكومة ما"⁵، والى هذا فإن التمويل، عندما يتخذ طابعاً سرياً، فيمكنه أن يتلاعب بالمثل وبالمدافعين عنها، كما فعلت المخابرات الأميركية في المرحلة الأولى بعد الحرب العالمية الثانية"⁵.

1- راجع المصدر نفسه ص 180

2- المصدر نفسه ص 151 و 29

3- المصدر نفسه ص 174

4- المصدر نفسه ص 163 و 164

5- المصدر نفسه ص 172

على أنه إذا خلقت الوسائل المختلفة أشخاصاً يحملونها ويروجون للأهداف المبتغاة، فسيكون التأثير أمضى، ذلك "أن أكثر الناطقين باسم أميركا فاعلية وتأثيراً ليسوا هم الأميركيين، بل وكلاؤهم المحليين من أهل البلاد الأصليين، الذين يفهمون فضائل أميركا وعيوبها..."¹.

إلا أن ما يعيق القوة الناعمة هو اكتشاف كذب ما تطرحه من مثل أو قيم، وهذا ما تعاني منه أميركا في توجهها إلى شرائح واسعة جداً في العالم العربي والإسلامي. فقد روى أ. كروكر، الذي عمل سفيراً للولايات المتحدة في عدة بلدان إسلامية، أنه: "بينما كنا نتحدث عن حقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية والديمقراطية وحكم القانون، لم تكن سياساتنا ولا توزيعنا للموارد يتمشيان مع خطبنا الرنانة، فلم نقم بتحدي الحكومات في المنطقة من أجل التغيير، ولا قدمنا حوافز لهذا الغرض.

بل على العكس، وكما تقول دانييل بليكا من "معهد المشروع الأميركي": "إننا نظهر للعيان باعتبارنا ندعم هذه الحكومات (حكومات الاعتدال العربي) الحقيرة الخسيسة"² على أن النتائج المتوخاة من استخدام القوة الناعمة يجب إلا تكون بالضرورة نتائج عاجلة، بل ربما يستحسن أن تعطي ثمارها على المدى البعيد. وإذا كانت تلك هي القوة الناعمة، فما هي الحرب الناعمة؟.

الحرب الناعمة

الحرب الناعمة هي استخدام القوة الناعمة لتحقيق الأغراض الخاصة بالمرسل. فهي أساليب خبيثة تستخدم لتحقيق أهداف يمكن استخدام القوة الصلبة لتحقيقها، لكن بتكاليف أضخم. من هنا يمكن تعريفها: "بأنها مجموعة من الأفعال العدائية المدبّرة الهادفة إلى تحويل القيم الثقافية الأساسية كما الهوية لمجتمع ما. إن هذا النموذج من الحرب يمكن أن يؤثر في كل المظاهر السيكولوجية"، أنها باختصار:

نشاط متعمد ومخطط

إن أكثر ميادينه أهمية هو الثقافي والسياسي والاجتماعي³

إلا أن أساليب الحرب الناعمة لا تبقى دائماً هي نفسها، بل هي تتبدل حسب الظروف والمعطيات وتطور القناعات والأذواق، فالنقط لم يكن مورد قوة مؤثراً قبل العصر الصناعي، كما لم يكن اليورانيوم ذا أهمية قبل العصر النووي⁴.

1- المصدر نفسه ص 171

2- المصدر نفسه ص 180

3- <http://www.persia-house.com/mode/1135>

4- المصدر نفسه ص 22

المزوجة بين القوة الناعمة والقوة الصلبة: القوة الذكية

إن تحقيق الأهداف، لا يمكن دائماً بالقوة الناعمة، لذلك تعتمد القوى الاستكبارية إلى المزوجة بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، فمن "أجل كسب السلام"، يتعين على الولايات المتحدة أن تظهر براعة كبيرة في ممارسة القوة الناعمة كما أظهرت براعتها في ممارسة القوة الصلبة، لكسب الحرب "ضد الإرهاب"¹.

وهذا المزج يشكل ما يسمى "القوة الذكية"². على أن المزج لا يعطي حصلاً حسابياً بسيطاً، لأن هناك علاقة جدلية بين القوتين، خاصة وأن القوة الصلبة لها جانب جذاب أو ناعم "لأن الناس تميل إلى القوي وإن كانت تشفق على الضعيف. كما أن القوة الصلبة قد تستخدم لأحداث نتائج محببة وجذابة. ففي حرب العراق كانت هناك مجموعة أخرى من الدوافع لها علاقة بالقوة الناعمة، فقد اعتقد المحافظون الجدد أن القوة الأميركية يمكن استخدامها في تصدير الديمقراطية إلى العراق وفي تحويل سياسة الشرق الأوسط"³.

على أن الأميركيين ما زالوا منذ زمن الحرب الباردة يزاوجون بين القوتين بجرعات متباينة، ففيما كانوا يعدون ترسانة نووية هائلة ضد المعسكر الاشتراكي، كانوا يبثون الموسيقى الأميركية والأخبار للشباب "خلف الستار الحديدي"^{*}، وذلك بواسطة "إذاعة أوروبا الحرة".

واليوم يمارس الأميركيون أسلوب المزوجة تجدها الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسائر دول الممانعة وحركات المقاومة. فالحوادث الحاصلة في الشرق الأوسط تمثل في الوقت نفسه حرباً ناعمة (إلى جانب الحرب الصلبة) بين المقاومة التي تقودها إيران، من جهة، ونظم الغطرسة (الغرب) التي تقودها الولايات المتحدة، من جهة أخرى. وإن كانت جبهة المقاومة انتصرت في بعض البلدان، وهي تترك المشاريع الغربية في بلدان أخرى.

كما تخاض حرب ناعمة، إلى جانب مظاهر الحرب الصلبة (التهديد المبطّن أو المعلن) بين روسيا وأميركا حول دول أوروبا الجنوبية الشرقية ومنطقة بحر قزوين، حيث تسعى أميركا إلى ضم الدول المذكورة: ألبانيا، كرواتيا، مقدونيا، جورجيا، أوكرانيا.... إلى مؤسسات أوروبا الأطلسية، وإلى كسر تحكّم روسيا بطرق الترانزيت الخاصة بالطاقة من بحر قزوين إلى الأسواق الأوروبية، وإلى نشر الديمقراطية في أوساط الشعوب المعنية. فيما تتصدى روسيا لكل هذه المشاريع"⁷.

لبنان بين الحرب الناعمة والحرب الصلبة

1- المصدر نفسه ص 14.

2- المرجع نفسه ص 16.

3- المصدر نفسه ص 53

• الذي كان يفصل المعسكر الاشتراكي عن المعسكر الغربي.

7- راجع: Policy Review.no 137 by Bruce p. Jackson, Russia and the West square off.

كان الطامعون بالمنطقة وأعداؤها منذ أمد بعيد يلجأون إلى الحرب الصلبة، ولو بدأنا بالحرب الصليبية، فإننا نجد أن الغرب يشن الحروب ويجتاح كلما استطاع ذلك، فبعد تلك الحروب التي استمرت قرنين من الزمن، منذ أواخر القرن الحادي عشر إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر، رضخت المنطقة لحكم المسلمين الذي استمر في منطقة بلاد الشام حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ثم كان الاحتلال الفرنسي الانكليزي، الذي لم تجل جيوشه حتى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين.

وبعد الاستقلال تولى الحرب الصلبة العدو الصهيوني، وما زال حتى اليوم. طيلة هذه الأزمنة، كانت الحرب الناعمة تشن إلى جانب الحروب الصلبة. فإبان الحروب الصليبية أغرى ملك فرنسا لويس الثامن القيادات المارونية بأن يكونوا فرنسيين وتحت الحماية الفرنسية..

جاء ذلك في رسالة أرسلها من عكا بتاريخ 20 أيار 1250، تقول: "نحن موقنون أن هذه الأمة، التي قامت تحت اسم القديس مارون، هي قسم من الأمة الفرنسية.... أما نحن وجميع الذين سيخلفوننا على عرش فرنسا فنعد بأننا نوليكم أنتم (البطريك) وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة، كما نوليها للفرنسيين بعينهم ونسعى في كل وقت في ما يكون آيلاً إلى سعادتكم"¹.

وتجددت هذه الحماية على يدي لويس الرابع عشر بتاريخ 28 نيسان/ ابريل 1649، بإرادة ملكية تقول: "ليكن معلوماً أننا بتوجيه من الملكة الوصية، سيدتنا وأمنا ذات الشرف الرفيع، قد أخذنا ووضعنا تحت حمايتنا ورعايتنا الخاصة، بمقتضى توقيعنا بيميننا، صاحب النيافة البطريك والأكليروس الموارنة المسيحيين. من رجال دين أو علمانيين، الذين يقطنون جبل لبنان خاصة"².

وعندما بدأ النشاط السياسي الغربي يشتد في أواخر عمر السلطنة العثمانية، أعطت الحروب الناعمة أكلها عند فريق من قيادات منطقة بلاد الشام. فراح كتاب يطالبون بما يريده الغربيون، الاحتلال الغربي، وخاصة الفرنسي. ومنهم ندره المطران وجورج سمنة وفارس نمر وشكري غانم، وذلك من أجل " ترقية الأمة بالعلوم والمعارف". على أساس أن لا خطر من الاحتلال، حيث يصرّح فارس نمر في المقتطف بقوله: "أنا احتلالي على رؤوس الأشهاد"، ف: "إذا حاسنا المحتلين واستعنا بهم على إصلاح أحوالنا واكتسبنا ثقتهم"³ فلا خوف منهم، وعند نهاية الحرب كانت شرائح أصبحت تطرح أنها جزء من الثقافة الفرنسية، لا بل ومن العنصر الفرنسي. ففي رسالة من "اللجنة التنفيذية الدائمة لتجمع مسيحيي بيروت"، برد: "هذا المجموع (من سكان

1- البطريك اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، دار لحد خاطر ص 609.

2- د. عبد العزيز نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث، جامعة بيروت العربية 1974 ص 84

3- مجلة المقتطف مجلد 26 ص 260 وما بعدها

سوريا)، الذي يشكل الأوساط الأكثر استنارة والأكثر تأثيراً، لأنه مشبع بالثقافة الغربية... وان الشعب اللبناني المتحد مع فرنسا بصلات الصداقة التاريخية، يريد أن تكون فرنسا مساعدة له... إن أسباباً قوية تدفع إلى هذا الخيار. وهذه الأسباب تستند على التاريخ والتقاليد والتقارب العرقي... وكذلك على شراكة الثقافة وعلى الموقع الجغرافي وعلى مسألة لغة وتشريع وفكر ونفسية مشتركة¹، إلى غير ذلك من الأوهام. ولما تراجع النفوذ الفرنسي والبريطاني نسبياً في أواسط الأربعينات إلى أواسط الخمسينات ليبرز بقوة النفوذ الأميركي، لم تلبث الولايات المتحدة أن لجأت إلى الحرب الناعمة، ناشرة ثقافتها، التي لا تختلف جذرياً عن الثقافة الأوروبية الغربية، لتكسب عقول وقلوب فئات واسعة من اللبنانيين.

ولما كانت أميركا راعية، ثم داعمة ثم متحالفة أساساً مع الكيان الصهيوني في منطقتنا، راح الفريقان يتكاملان تجاه لبنان وسائر المنطقة، فمن العدو القوة الصلبة أساساً: ومن أميركا القوة الناعمة.

حرب العدو الصهيوني الصلبة ضد لبنان

منذ ما قبل وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وحتى قبل إنشاء دولته في أيار سنة 1948، كان جنوب لبنان، حتى اللباني، محط أطماع الحركة الصهيونية. كذلك كان لبنان يتعرض للعدوان باستمرار، وكان من أشهر محطاته، مجزرة حولا سنة 1948، قبل إنشاء الكيان، التي ذهب ضحيتها عشرات الشهداء بطريقة غادرة.

ثم كانت حرب اغتصاب فلسطين في أيار 1948، التي انتهت باستيلاء العدو على ثلاثة أرباع أرضها، ومنذ ذلك الحين توالى الاعتداءات الصهيونية، وتفاقت مع بدايات تحرك المقاومة الفلسطينية انطلاقاً من لبنان، وخاصة سنة 1968، عندما هاجمت طائرات العدو مطار بيروت الدولي، ودمرت أسطول الطيران المدني اللبنانيين.

واستمرت العمليات العدوانية ضد اللبنانيين والفلسطينيين، إلى أن اقتطعت بعض فصائل من الجيش اللبناني بقيادة رائد يدعى سعد الحداد، بمساندة العدو، شريطاً من الجنوب، ومنع الجيش اللبناني من دخول ذلك الشريط.

وفي سنة 1978 شنّ الجيش الصهيوني عدواناً واسعاً على لبنان أدى إلى استصدار القرار 425 من مجلس الأمن الدولي، الذي قضى بانسحاب الجيش "الإسرائيلي" من لبنان. وفي حزيران 1982 اجتاح الجيش الإسرائيلي لبنان واحتل حتى بيروت، إلا أن المقاومة اللبنانية اضطرت إلى الانسحاب من معظم المناطق اللبنانية، ليتوقف من جديد في الجزء

الجنوبي من جنوب لبنان. ونتيجة ضربات المقاومة الإسلامية اضطر العدو إلى الانسحاب في أيار سنة 2000.

إلا أنه في تموز سنة 2006 عاود عدوانه على لبنان متذرعاً بأسر جنديين إسرائيليين على يد المقاومة الإسلامية، فلم يتمكن من تحقيق أهدافه ومني بخسائر جسيمة في الأفراد والمعدات، وخاصة في روح جنوده المعنوية. وما زال العدو يهدد ويتوعد حتى اليوم.

الحرب الناعمة لأميركا والغرب على لبنان

بدأت حرب أميركا الناعمة على لبنان بعد إنزال بعض قواتها على الساحل اللبناني في منطقة الأوزاعي، بطلب من رئيس الجمهورية كميل شمعون المؤيد للنفوذ الغربي ضد الفريق اللبناني الآخر، ثم راحت تقدم شيئاً من المساعدات الغذائية للبنانيين بعد سحب قواتها، إلى جانب بعض أنواع المساعدات الأخرى.

كما وقع لبنان تحت تأثير الحرب الناعمة العامة التي كانت تطلقها الولايات المتحدة إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، والتي كانت تروج لأسلوب الحياة الأميركي، كما كان يتعرض لغير ذلك من الحروب، التي كانت تطلقها القوى المختلفة، يسهل ذلك كونه بلداً مفتوحاً على وسائل الإعلام والثقافات.

غير أن النشاط الأميركي راح يكتف في مواجهة المقاومة، مستخدماً أساليب التهديد ضدها، وأساليب الحرب الناعمة تجاه اللبنانيين بشكل عام، مع استخدام الأمم المتحدة، وخاصة مجلس الأمن، غطاء لتلك الحرب. فإلى جانب الأساليب التقليدية، كان أهم ما استخدم في المرحلة الأخيرة، القراران 1559 و 1701 والمحكمة الدولية الخاصة بلبنان.

القرار 1559(2004)

كان هذا القرار صناعة أميركية- فرنسية مشتركة، ففضى بسحب الجيش السوري من لبنان، تحت ذريعة استكمال السيادة، ودعا إلى إجراء عملية انتخابية حرة ونزيهة في الانتخابات الرئاسية المقبلة.

كما دعا، من جهة أخرى إلى "حل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ونزع سلاحها". كان هذا القرار في مصلحة الولايات المتحدة الأميركية ومن ورائها "إسرائيل"، لأنه قصد أن يجرّد المقاومة من سلاحها، ما يمنح الدولة الصهيونية حرية الحركة العسكرية في لبنان، كما يمنح أميركا حرية التصرف بمقدرات هذا البلد من الناحية السياسية والدبلوماسية.

كما يحقّ القرار لفرنسا إمكانية الانتقام من النظام السوري، بعد أن ظهر رئيسه بشار الأسد غير طيّع أمام املاءات السياسة الفرنسية. ومع ذلك لاقى القرار هوىً لدى الفئات اللبنانية المرتبطة تاريخياً بالغرب، التي كان منها من سبق أن كان يطالب بقرار أميركي أو دولي من هذا القبيل، كما دغدغ أحلام فئات جديدة. غير أن الفئات اللبنانية الأخرى رأت في القرار مؤامرة على لبنان ومقاومته، التي تشكل قوة الردع في وجه أطماع العدو، كما تشكل القوة الرئيسية في مواجهة المشاريع الاستكبارية التي ما فتئت تهدد المنطقة، منذ بزوغ العصر الاستعماري حتى اليوم.

القرار 1701 (2006)

أتى هذا القرار لوضع حد للمواجهات التي دارت اثر العدوان "الإسرائيلي" على لبنان بين المقاومة الإسلامية وجيش العدو، وقد حاولت أميركا والغرب عموماً أن تجعل المقاومة في موضع المهزوم سياسياً بعد صمودها العسكري الكبير. حملّ القرار المقاومة الإسلامية مسؤولية القتال، رغم أن العدو هو الذي شن حرب على لبنان، منذراً بأسر المقاومة جنديين من جيشه (البند 1)، وطلب تطبيق القرار 1559، بحيث لا يبقى سلاح في لبنان إلا السلاح التي توافق الحكومة اللبنانية على وجوده (البندان 3 و 8/2 و 3) كما طالب الدول الأخرى بعدم إمداد المقاومة بالسلاح (البند 5/8). أتى هذا القرار بعد أن حاولت الجهات اللبنانية المرتبطة بالغرب، المستحيل لإقناع العدو الصهيوني بواسطة أميركا، أن يفعل كل ما يستطيع لتدمير المقاومة، ولما عجز العدو، استعاضت الجهات المؤيدة له عن أسلوب الحرب العسكرية بأسلوب الحرب الدبلوماسية. ولما كان تدمير المقاومة، بنزع سلاحها، هو المطلب الأميركي "الإسرائيلي" الأساسي، فإن جهات لبنانية كانت وما زالت تطالب به، دون أن يكون لديها أي بديل آخر يؤمن الحماية للبنان في مواجهة العدوانية الصهيونية الطامعة بالأرض والمياه. ومرة أخرى هناك حرب صلبة بمواجهة فريق لبناني وحرب ناعمة بمواجهة فريق آخر.

المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، أو المحكمة "ذات الطابع الدولي"

بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري في 14 شباط 2005، طالبت السلطات اللبنانية تحت تأثير الضغوط المختلفة، الأمم المتحدة أن توفد لجنة لتقصي الحقائق، فأرسلت لجنة برئاسة ضابط شرطة إيرلندي، فقامت بهمتها وخلصت إلى التوصية بتشكيل لجنة تحقيق دولية، فشكّلت اللجنة برئاسة القاضي الألماني ديتليف ميليس، الذي خلفه قاضي بلجيكي هو سيرج براميرتز، الذي أعقبه أخيراً القاضي الكندي دانيال بلمار.

وأخيراً شكلت، بقرار مجلس الأمن الدولي رقم 1757 بتاريخ 2007/5/30 محكمة التبتت تسميتها بين المحكمة الدولية الخاصة بلبنان أو المحكمة ذات الطابع الدولي، لمحاكمة قتلة الرئيس الحريري ورفاقه، وربما المتورطين في جرائم أخرى ارتكبت قبل اغتيال الحريري وبعده. أقر إنشاء المحكمة من قبل مجلس الأمن، بعد أن فشلت الحكومة التابعة للجهات المؤيدة للسياسة الأميركية، والتي تجمعت تحت راية 14 آذار، في اتباع الطرق الدستورية، التي تقضي بأن يبادر رئيس الجمهورية إلى المفاوضة (أو التكليف بالمفاوضة) في المعاهدات الدولية (م 52 من الدستور).

وقد اتخذ القرار 1757 تحت الفصل السابع لجعله إلزامي التنفيذ من قبل لبنان، تحت طائلة التعرض للعقوبات، التي يمكن أن تبدأ بالاقتصادية والدبلوماسية وتنتهي بالتدخل العسكري، وقد اعتمد هذا الأمر لقطع الطريق على معارضي الصيغة التي أعطيت للمحكمة. لقد حلّ مجلس الأمن بقراره هذا محل السلطات الدستورية اللبنانية: رئيس الجمهورية ومجلس النواب، دون أي مبرر. وما التذرع بان هاتين الجهتين لا ترغبان بإقامة المحكمة إلا مخالفة أخرى تضاف إلى المخالفات، فإذا كانت السلطات المخولة صلاحية ما، تتصرف من ضمن هذه الصلاحية، فالمسألة قانونية ولا تشوبها شائبة، وقد حاولت الحكومة أن تهرب من هذا، مدعية أن السلطة المكلفة بالبت النهائي بالاتفاق، مجلس النواب، معطل. إلا أن الصحيح أن رئيس المجلس لم يعطه"، بل هو رفض السير في عملية غير دستورية، لأنها بدأت في المكان الخطأ، بدأت عند الحكومة بدلاً من أن تبدأ عند رئيس الجمهورية.

أما لجهة موضوع القرار، فهو اعتداء على السيادة اللبنانية، وبالتالي هو خرق لميثاق الأمم المتحدة في مادته 7/2، التي تمنع تدخل الأمم المتحدة في كل ما يعد من صميم السلطان الداخلي للدول. والاعتداء المذكور على السيادة تمثل بانتزاع صلاحية هامة من صلاحيات سلطة من السلطات اللبنانية، هي السلطة القضائية، وإبلائها إلى جهة خارجية. خلافاً للمادة 20 من الدستور، التي تحصر السلطة القضائية اللبنانية بالمحاكم اللبنانية.

كل هذا كان مطلباً لجهة لبنانية بالإضافة إلى كونه مطلباً لأميركا والغرب يمكنه من الحصول على سيف يسلط فوق رأس أي فريق لبناني يعارض سياساته. وهذا ما يؤمنه مبدئياً النظام الأساسي للمحكمة، ذلك النظام الذي طبق بأكثر الطرق انحيازاً للسياسة الأميركية "والإسرائيلية"، ومن خلفهما الغربية بنحو عام.

صلاحيات المحكمة

أعطيت المحكمة صلاحيات واسعة جداً تسمح لها بتجاهل السيادة اللبنانية، إذ توضع السلطات اللبنانية تحت تصرفها لتلبية طلباتها، كما قضى البروتوكول المعقود بين مكتب المدعي العام والحكومة اللبنانية ممثلة بوزير العدل بالسيطرة المطلقة للقضاة الأجانب (م 8 من النظام الأساسي للمحكمة)، وكذلك أعطيت المحكمة صلاحيات التشريع، إذ لها أن تضع قواعد للإجراءات والإثبات، ما يعني أنها تسنّ قانوناً للأصول الجزائية وتطبقه، في خرق واضح لمبدأ فصل السلطات (م 28)، وان كان لها أن تسترشد بقانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني، وبالمواد المرجعية الأخرى التي تتم عن أعلى معايير الإجراءات الجنائية الدولية، بغية ضمان محاكمة عادلة وسريعة". إلا أن هذه الإمكانيات يعود تقديرها إلى المحكمة نفسها.

ثم أن الحكومة اللبنانية ملزمة بالتمويل بنسبة 49% من موازنة المحكمة، التي يقرّها القضاء بكل استقلالية، ولا يجوز للبنان أن يمارس أي قدر من المراقبة عليها (م 5 من اتفاق الحكومة مع الأمم المتحدة).

أما الصلاحيات الخارقة في المحاكمة فتتمثل بالآتي:

1. جواز أن تعيد المحكمة محاكمة أي شخص حوكم أمام محكمة لبنانية، وعدم جواز العكس (م 5 من النظام الأساسي). هذا مع العلم أن الحكم الذي يصدر عن محكمة لبنانية ويتخذ الصفة القطعية يرتب للمحكوم عليه حقوقاً مكتسبة بالألا تعاد محاكمته، كما يؤكده الدكتور محمد الحموري الوزير الأردني السابق¹، لكن الحكومة اللبنانية تحرمه من هذا الحق باتفاقها مع الأمم المتحدة.
2. عدم جواز إصدار أي عفو، علماً بأن العفو سواء كان عفواً خاصاً يصدره رئيس الجمهورية (م 9/53 من الدستور) أو عفواً عاماً يصدره مجلس النواب، إنما يعبر في الحالتين عن صلاحية دستورية سيادية تمارسها أعلى السلطات في الدولة، ولا يجوز للحكومة أن تقرّط بها في أي حال من الأحوال².
3. وهكذا مرة أخرى يخرق الدستور اللبناني، ناهيك عن السيادة، استجابة للحرب الناعمة، التي تشن على لبنان.
4. كما أعطى النظام للمحكمة صلاحية المحاكمات الغيابية، الأمر غير المعروف في المحاكم الدولية، والذي يسمح للمحكمة في حال تعذر حضور شخص ما أمام

1- راجع صحيفة المدار بتاريخ 23 و24 /12 /2006.

2- المرجع نفسه.

المحكمة لأسباب قاهرة، أمنية أو غيرها، أن تسطر مذكرة جلب بحقه، وتطلب من الأنتربول أن يقبض عليه ويجلبه أمامها.

في الممارسة: من تفصي الحقائق إلى القرار الاتهامي

بدأت التحقيقات بواسطة لجنة تفصي الحقائق، التي شكلها الأمين العام للأمم المتحدة، بناء على طلب الحكومة اللبنانية في شباط 2005، وانتهت بتسجيل عدم كفاءة أجهزة التحقيق اللبنانية، وأوصت بتشكيل لجنة تحقيق دولية، علماً أن ما سيتوصل إليه التحقيق، بعد أربع سنوات، لم يتجاوز بكثير ما كانت توصلت إليه الأجهزة اللبنانية. كما أكدت لجنة تفصي الحقائق "التدخل السوري الكثيف في الشؤون التفصيلية اللبنانية".

شكلت لجنة تحقيق دولية برئاسة القاضي الألماني ديتليف ميليس، في 13 أيار/ مايو سنة 2005.

كان أهم ما قامت به لجنة ميليس أن أوصت بسجن الضباط الأربعة: اللواء الركن جميل السيد، مدير عام الأمن العام السابق، اللواء علي الحاج، المدير العام لقوى الأمن الداخلي، العميد ريمون عازار، مدير مخابرات الجيش اللبناني، العميد مصطفى حمدان، قائد الحرس الجمهوري، فزج بهم في السجن ما يزيد عن ثلاث سنوات ونصف، ولم يخرجوا إلا بعد إنشاء المحكمة الدولية في آذار 2009.

أن أهم ما تميزت به تحقيقات ميليس أنها انطلقت من تاريخ العلاقة اللبنانية السورية، منذ إنشاء لبنان الذي عارضته سوريا، ثم اعتمادها على بعض الشهادات حول تهديد الرئيس الأسد للرئيس الحريري. وأخيراً اعتماد شهادات عن اجتماعات التحضير لاغتيال الحريري بين ضباط سوريين وضباط لبنانيين، وقد أتت اتهامات ميليس منسجمة مع الجو الذي أشيع من قبل ما سمي بقوى 14 آذار في لبنان، ومع ما كانت تضعه بعض الصحف الخليجية المعادية لسوريا من سيناريوهات.

واستغلت الإدارة الأميركية تقارير ميليس، وكان تعليقها على أحد هذه التقارير أن ادعت: "أن التقرير خطير ويوجب تحرك مجلس الأمن لاتخاذ إجراءات ضد سوريا".

كما أراد سعد الحريري من المحكمة أن تبقى أداة ابتزاز ضد إيران وسوريا، فهو حسب ويكيليكس¹، يريد لها سيفاً مصلتاً على رقبة إيران وسوريا، لإضعاف وكلاهما في لبنان".

كل هذا على الرغم من أن نتيجة الاختبارات أتت لتدحض الشهادات حول اجتماعات الضباط المزعومة، وما روي حول السيارة التي حملت المتفجرات، وما إلى ذلك، تلك الشهادات

¹ - الوثيقة رقم 06BEIRUT2602 بتاريخ 24 آب 2006 - الأخبار 2001/3/16

التي ستعدّ في ما بعد "شهادات زور". وقد بقي النظام السوري في دائرة الاشتباه إلى أن تغير الموقف الأميركي تجاه سوريا.

تمسكت الجهات اللبنانية المؤيدة للسياسة الأميركية بتقارير ميليس، وراحت تهاجم سوريا وتحرّض ضدها، كما تهاجم الطرف اللبناني الآخر المتحالف مع سوريا. انتهت مهمة ميليس، أو أنهيت، بعد أن كادت تتحول إلى فضيحة، وحل محله القاضي البلجيكي سيرج براميرتز في كانون الثاني سنة 2006.

تميزت تحقيقات براميرتز بالرصانة الظاهرية والاحتراف لجهة الحفاظ على سرية التحقيق، إلا أن حقيفة عمله لم تكن في المتناول، بسبب تكتمه الشديد، إلى أن انتهت مهمته، وحل محله القاضي الكندي دانيال بلمار في أول كانون الثاني/يناير 2008، الذي كلّف برئاسة مكتب الادعاء العام لدى المحكمة عند تشكيلها في آذار 2009.

راح دانيال بلمار يتابع مهماته التحقيقية. إلا أن التحقيقات راحت تتسرّب إلى الصحف وسائر وسائل الإعلام، وكشف أن عمليات بيع التحقيقات كانت تجري منذ أيام ميليس، حيث كان يعرض نائبه غيرهارد ليمان كامل التحقيق مقابل مبلغ مليون دولار.

راحت بعض الصحف العربية والخليجية تنشر أجزاءً من محتويات التحقيق، ثم تلتها صحف أجنبية: ديرشبيغل الألمانية والفيغارو الفرنسية، كما أدلت قنوات تلفزيونية بدلوها مثل CBS الكندية.

وإذ بالتحقيق ينحرف باتجاه المقاومة، لیتهم بعض أفرادها، واستبعد النظام السوري الذي تحسنت علاقاته مع الغرب عموماً، وأصبحت أقل سوءاً مع أميركا، التي تحتاج إلى جهوده للتخفيف عنها في العراق. ويظهر التواطؤ بين المحكمة وسعد الحريري بتصريحه في مصر أنه: "ليس ملائماً استثناء حزب الله من التحقيق الدولي"².

وهكذا يتبين أن التحقيق هو أداة بيد أميركا توجهها بالاتجاه الذي تريده، وقد أصبح وسيلة في الحرب الصلبة التي تشنها على أخصامها، كما أنه من وسائل الحرب الناعمة تجاه الطرف اللبناني والعربي الآخر المسمى بـ"دول الاعتدال العربي" أو ما تبقى منه.

لقد كان تسييس المحكمة، من الاحتمالات المرجحة منذ إنشائها، إذ كان من اللافت، كما يقول الدكتور الحموري، حالة الاستعجال في مجلس الأمن للانتهاء من إعداد مشروع المحكمة... فأقرها في يوم 2006/11/21.. وفي الوقت نفسه تمّ إرسال المشروع إلى الحكومة اللبنانية للموافقة عليه"¹.

² - ويكيليكس، وثيقة رقم 06beirut2604 بتاريخ 2006/8/12 الأخبار 2011/3/15
1- صحيفة المدار المذكور سابقاً.

وكان الأستاذ داوود خير الله تخوّف من تسييس المحكمة، منذ أن كان مشروع إنشائها قيد التداول، إذ كتب في أول تشرين الثاني 2006 يقول: "لكن المقلق هو أن تصبح المحكمة الدولية الخاصة وسيلة لتحقيق أهداف سياسية خارجية وداخلية، من دون أن تبلغ العدالة هدفها، فتصبح في أيدي محركيها كـ"المسار السلمي" (للقضية الفلسطينية). إذ أن المسار أصبح هو الهدف وهو الوسيلة للابتعاد عن السلم... وقد تخرج القضية كلياً عن سيطرة السلطات اللبنانية ويتحكّم بها المسيطرون على "الشرعية الدولية"¹.

على أن المحكمة وكل ما تعلق بها لم تستخدم أدوات في الحرب الصلبة من قبل الخارج فقط، بل استخدمها بعض الداخل وسيلة من وسائل تلك الحرب، وقد رأينا دفاعه عن كل ما صدر عنها واستخدامه ضد أخصامه المحليين والإقليميين. وهو لم يكتفِ بهذا، بل تمسك حتى بما لم تستطع المحكمة التمسك به، من مثل قضية "شهود الزور"، الذين أعلن القاضي براميرتز أن شهاداتهم لا يمكن الوثوق بها، لا سيما بعد تراجع بعضهم عنها. غير أن "قوى 14 آذار" ما زالت تصرّ على عدم محاكمتهم على ما جرّوه على الضباط، وما تسببوا به من تضليل التحقيق وإهدار وقت المحققين، وكذلك، وهذا هو الأخطر، من أجل أن يكشفوا عن دفعهم إلى الشهادة، ليصار إلى الادعاء عليهم بجرم التستر على المجرمين الحقيقيين، ودفع التحقيق باتجاهات مضللة.

إن الحرب ما زالت قائمة بفرعها الصلب والناعم، والمحكمة الدولية، ما تزال تحاول أن تؤدّي الدور الذي رسم لها حتى الآن.

الأساليب التقليدية الأخرى

تتمثل هذه الأساليب، فيما يخص لبنان، بمساعدات "وكالة التنمية الأميركية"، وبالمساعدات العسكرية وبالتدريب لضباط وأفراد من قوى الأمن الداخلي والجيش، إلى المدفوعات إلى وسائل الإعلام.

فوكالة التنمية الدولية الأميركية تموّل مشاريع مختلفة تشمل أبحاث مثقفين وأساتذة جامعيين ومراكز دراسات، وتشمل مشاريع تنموية في مختلف المناطق، وخاصة في المناطق الجنوبية، حيث تتمكن من ذلك، فقد ورد في الصحف أن السفارة الأميركية سيسون ونائب مدير وكالة التنمية كانا يجولان في الجنوب على مشاريع زراعية مؤلّتها الوكالة المذكورة².

1- راجع جريدة الأخبار بتاريخ 1 و2 تشرين الثاني/ نوفمبر 2006.

2- راجع جريدة النهار 10 أيلول 2008.

أما المساعدات العسكرية، فتشمل عتاداً وأسلحة خفيفة ووسائل نقل وغيرها، مما لا يستخدم إلا في القمع الداخلي، وما يتوافق مع مطالب حلفاء أميركا، الذين لا تهمهم مشاريع العدو الصهيوني واعتدائه واحتلالاته.

وتقوم الولايات المتحدة بإجراء دورات تدريبية لضباط قوى الأمن الداخلي وأفرادها، وقد كتفت دورات التدريب بشكل ملحوظ. ففي مدى سنة مثلاً، ما بين نيسان 2008 ونيسان 2009، تحدثت الصحف عن ثماني دورات تدريب لقوى الأمن الداخلي¹.

كما تدرب الولايات المتحدة الجيش، وان بوتيرة أقل، حسبما يرد في الصحف². أما وسائل الإعلام فنالت نصيباً لا بأس به من المساعدات الأميركية، فقد أدلى السفير الأميركي السابق فيلتمان بشهادة أمام مجلس الشيوخ الأميركي، اعترف فيها بتقديم خمسمائة مليون دولار أميركي لوسائل الإعلام، لتسويه سمعة حزب الله⁵.

النتيجة

هذه الأساليب الحربية منها ما باعت بالفشل ومنها ما آتت أكلها. فأما التي آتت أكلها فهي الحرب الناعمة، فمنذ أواسط القرن التاسع عشر، استطاعت القوى الغربية أن تستميل جماعات من سكان جبل لبنان، نتيجة لدعمها لها في حروب داخلية نشبت بينها وبين جماعات أخرى، كما ودعمها لها في مواجهة السلطات العثمانية، ثم استطاعت بعد الحرب العالمية الأولى، أن تكسب زعامات طائفية وشرائح من طوائف مختلفة، لمشاريعها، حتى وان ظهرت خلافات مؤقتة أو جانبية، وما زال الأمر سارياً حتى اليوم. وهكذا قامت في لبنان شخصيات قادت جماعات وشرائح لبنانية، وهي تتفقد سياسة الغرب الطامع بخيرات منطقتنا وبأسواقها وموقعها الاستراتيجي.

وآتت أكلها أيضاً الحرب المختلطة الصلبة والناعمة، في مواجهة جهات كانت ترفض تدخل الغرب، ولكنها رضخت أمام قوته وإغرائه، أي سياسة "العصا والجزرة"، وهكذا، فبعد أن قاوم الزعماء العرب، وخاصة في المشرق، الاحتلال الغربي محاولين عدم الاعتراف بما قام به في المنطقة من تحكم وتفتيت وأساليب إدامة للهيمنة، رضخ الكثيرون من هؤلاء الزعماء لمغريات الحكم واعترفوا بما رتبته الاحتلال من نتائج، واستراحوا إليها، ورتبوا مصالحهم على أساسها.

1- راجع: النهار 2008/4/16 و 2008/7/22 و 2008/8/12 و 2009/4/3 والسفير 2008/8/19 الأخبار 2008/3/11 والأنوار 2008/9/9 والبيرق 2008/12/11.

2- راجع: المستقبل والسفير 2008/9/20، السفير 2008/7/12 المستقبل 2009/4/15 والشرق الأوسط 2009/4/15.

3- راجع

محصلة الحربين الناعمة والصلبة بعد عدوان تموز 2006

كانت نتيجة نمطي الحرب في منطقتنا نجاحات تلاها فشل أعقبته نجاحات نسبية، إلا أنها اليوم تتعرض للاهتزاز بفعل التحركات الثورية التي تقوم بها الجماهير بعد أن خرجت من القمقم. أما في لبنان، فإن الحرب الصلبة منيت في النهاية بالفشل تجاه من شنت ضدهم، أما الحرب الناعمة فقد نجحت نجاحاً باهراً لدى أوساط واسعة.

الحرب الصلبة

فالحرب التي شنت ضد القوى المناهضة للهيمنة الغربية منذ الاحتلال، الذي سمي "انتداباً"، كانت تفشل فشلاً محدوداً، ثم تعاود الكرة، ثم كانت عصاها الغليظة الكيان الصهيوني، الذي ما زال يمارس الاعتداءات على لبنان منذ ما قبل إعلان استقلال الكيان حتى اليوم. إلا أن المقاومة على مدى عقود لم تستكن حتى كان اجتياح 1982، حيث هزم العدو هزيمة غير كاملة، فانسحبت قواته لتتمركز في ما سمي "الشريط الحدودي" في جنوب لبنان في محاذاة الحدود اللبنانية الفلسطينية، إلا أنها هزمت سنة 2000، واضطرت إلى الانسحاب إلا من مناطق محدودة. ثم حاولت في عدوان 2006 أن تثار لهزيمتها من جهة، وتعيد فتح الطريق لتنفيذ الخطط الأميركية في ما تبقى من المنطقة، من جهة أخرى. إلا أن العدوان فشل فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافه. وبمناسبة هذا العدوان راحت نتائج الحرب الناعمة تظهر بأجلى صورها.

الحرب الناعمة

رأينا في بداية هذا البحث أن السيد ناي يرى أن أفضل نتائج القوة الناعمة أن تجعل أبناء البلاد الأصليين يحملون مطالبك، وهذا ما حققته الحرب الناعمة في لبنان، حيث انبرى عدد من السياسيين إلى مطالبة أميركا، إبان العدوان "الإسرائيلي"، بمواصلة هذا العدوان حتى يمكن أن يفرض على المقاومة نزع سلاحها، كما طالبوا بأن يحتل الجيش الصهيوني أجزاء من لبنان، لينتزعوا بهذا الاحتلال من أجل فرض نزع سلاح المقاومة.

ضرورة هزيمة حزب الله

كان السياسيون المؤيدون لأميركا وسياستها في المنطقة يطالبون بالقضاء على المقاومة، أو بنزع سلاحها بأي ثمن، وذلك في عزّ الحرب، عندما كان يقتل اللبنانيون بالمئات وتدمر الأبنية والبنى التحتية.

ففي اجتماع مع السفير الأميركي بتاريخ 25 تموز 2006، أي بعد اثني عشر يوماً على بدء العدوان، يقول سمير جعجع: "إن وقفاً لإطلاق النار من النوع الذي لا ينزع سلاح حزب الله، سيؤدي إلى احتمال تجدد النزاع". ويضيف جعجع: "أن وقف إطلاق النار يجب أن يقوم بدور تفكيك القدرات العسكرية لحزب الله".³

أما مروان حمادة فيرى: "أن وقفاً لإطلاق النار، بدون تقليص جوهري لقوات حزب الله، سيعطي هذا الأخير ببساطة موقفاً مهيمناً في الساحة السياسية اللبنانية، وسيفتح المجال لتجدد أعمال القتال في المستقبل القريب".⁴

ولما تبينت استحالة سحب كل أنواع السلاح، رأى حمادة "أن الحكومة والجيش اللبناني سيركزان على الترسانة الصاروخية لحزب الله وعلى سلاحه الثقيل".⁵

أما نايلة معوض، التي كانت خائفة على حياتها، فكانت تبلغ السفير الأميركي أنه إذا وقف إطلاق النار قبل أن يتضرر حزب الله جدياً، فسيكون من الصعب جداً لل"قوى الإصلاحية" أن تستمر على قيد الحياة⁶.

ويحسم ميشال الخوري، ابن الرئيس بشارة الخوري، موقفه بان الغرب يجب أن يريح الحرب الدائرة ضد حزب الله ومناصريه⁷.

وإذا كانت "إسرائيل" قد لا تستطيع إنجاز مهمة ارضاخ حزب الله وإجباره على تسليم سلاحه، فإن جعجع يقترح على السفير الأميركي أن مفتاح تفكيك حزب الله كقوة عسكرية يكمن في تحويله إلى مشكلة داخلية.⁸

أما بطرس حرب فلا يكتفي بالقتل والتدمير الحاصلين، بل هو ينصح السفير الأميركي "بأن يحصل تقدّم إسرائيلي كبير يسيطر على معاقل حزب الله في مارون الراس وبننت جبيل"⁹ وهذا ما يلتقي مع موقف جنبلات¹⁰.

لقد كان يمتلك السياسيين المذكورين رعب من انتصار حزب الله، فقد "كانوا خائفين من أن يؤدي النزاع إلى جعل حزب الله في وضعية أقوى في لبنان مما كان عليه في البداية"¹¹ وهذا ما

³ - البرقية رقم 06BEIRUT 2471 بتاريخ 25 تموز 2006

⁴ - البرقية رقم 06BEIRUT 2551 بتاريخ 7 آب 2006 الأخبار 2011/3/16

⁵ -- البرقية 06BEIRUT 2490 تموز 2006 الأخبار 2011/3/17

⁶ - البرقية 06BEIRUT 2437 - 27 تموز 2007 - الأخبار 2011/3/19

⁷ - البرقية 06BEIRUT 2447 - تاريخ 21 تموز 2006، الأخبار 2011/3/19

⁸ - البرقية رقم 2471 مذكورة أعلاه

⁹ - البرقية 06BEIRUT 2513 2006/8/1 - الأخبار 2011/3/16

¹⁰ - البرقية رقم 06BEIRUT 2643 - 15 آب 2006 الأخبار 2011/3/24

¹¹ - البرقية رقم 06BEIRUT 2544 - بتاريخ 17 آب 2006، الأخبار 2011/3/19

أبلغه بطرس حرب للسفير الأميركي عندما كان قلقاً "من أن يخرج حسن نصر الله وحزب الله من الحرب كأبطال، لأنهم يكسرون أسطورة الجيش الإسرائيلي" ويتماهى سياسيو 14 آذار مع العدو ويتبنون عدوانه على لبنان والمقاومة، فيبلغون السفير الأميركي أن حرب "هم" مع حزب الله (هي) أحد العوامل التي ستحدّد مستقبل العالم، هي حرب بين نظرتين للشرق الأوسط¹².

أما عندما أسقط في أيديهم، فراح الجميع يطالبون بالعمل على إخفاء نصر حزب الله، ببقاء الجيش الإسرائيلي في النقاط التي احتلها قبل وصول القوات الدولية، لأنهم لا يتقون بالجيش اللبناني، لذلك أعلنوا للسفير الأميركي أنهم "لا يوافقون... على أنه يجب على إسرائيل الانسحاب أولاً فقط لكي يحل الجيش اللبناني مكانها، وهو الذي يعتقدون أنه لا يزال يعجّ بالضباط الموالين لسوريا، (بل) يجب أن يحصل بالتزامن مع حلول قوات دولية مكان الإسرائيلية¹³.

أما وقد حصل الانسحاب، فيتساءل غطاس خوري: "كيف يعقل أن إسرائيل تصرّ على قوة جديدة متعدّدة الجنسيات، ولكنها في النهاية تسمح لليونيفيل ذاتها بتسلم الوضع"¹⁴؟

أما الياس المر فيعتب على الجيش "الإسرائيلي" بسبب ضعف أدائه. "إن الأداء الإسرائيلي الضعيف نسبياً، وخاصة في الأيام الأخيرة من النزاع، قد دعم حزب الله، ما يدفعه إلى التردّد في تسليم سلاحه، حتى في منطقة جنوب الليطاني، ويعبر المر عن اندهاشه من "أن الإسرائيليين قد سحبوا معظم جنودهم من الجنوب رغم أن الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل المعزّزة قد لا تنتشر إلا بعد أيام عديدة". واستنكر من ملء حزب الله الفراغ الذي أحدثه الفشل الإسرائيلي في البرّ، ثم يستشيط غضباً ويقول: "يضعنا جيش الدفاع الإسرائيلي في موقف صعب... إنهم أسوأ جيش في العالم"¹⁵ (وهو الذي كان يأمل أن يسهّل له الأمور بالقضاء على قوة المقاومة).

وتبقى أخيراً مناقشة استخدام الفصل السابع الذي يسمح لمجلس الأمن بإصدار القرارات الملزمة لنزع سلاح حزب الله، وبهذا الصدد يقترح المر على السفير الأميركي أن يصدر قرار تعزيز اليونيفيل تحت الفصل السابع سراً، لكن لا يمكن للسنيورة طلب هذه التعزيزات تحت الفصل السابع. واقترح في المقابل أن يوصي بذلك الأمين العام للأمم المتحدة آنان بنفسه، على أن لا تصرّح إسرائيل والولايات المتحدة بذلك علناً.

قطع إمدادات السلاح عن المقاومة

¹² - البرقية 2544 مذكورة سابقاً

¹³ - البرقية 2544 مذكورة سابقاً

¹⁴ - البرقية رقم 2643 مذكورة سابقاً

¹⁵ - البرقية 06BEIRUT 2665 بتاريخ 16 آب 2006 - الأخبار 2011/3/25

بعد أن عجز العدو عن تحقيق أهدافه، وخاصة عن فرض نزع سلاح حزب الله، راح سياسيو 14 آذار يسعون لفرض حصار تسليحي على حزب الله، عن طريق السعي لتكليف الأمم المتحدة بمراقبة المعابر.

فالسنيورة يحاول تحريض المر على المطالبة بنزع السلاح، على أن يكون في نفس الوقت "صارماً لكن سلساً"¹⁶. ولكن دون جدوى. وهنا يقترح المر على السفير الأميركي "وجود رقابة من اليونيفيل وقوات الأمم المتحدة على الهدنة وعلى المعابر والمرافئ والمطار لطمأننة إسرائيل أن حزب الله لن يحظى بالسلاح"¹⁷. ويلتقي سائر قادة 14 آذار "المسيحيين" مع هذا الطرح، فيؤيدون توسيع نطاق عمليات قوات الأمم المتحدة وصولاً إلى الحدود اللبنانية- السورية بهدف... إعاقة إمداد حزب الله بالسلاح"¹⁸. ويقترح مروان حمادة ونعمة طعمة على السفير "إقامة جدار كهربائي ذكي في مناطق من الحدود اللبنانية- السورية"¹⁹.

أما حاكم المصرف المركزي، رياض سلامة، فيعد السفير بأنه يمكنه تحريض رجال الأعمال ضد الحكومة ليجبرها على السماح لليونيفيل بمراقبة المعابر الحدودية لمنع أي احتمال لإعادة تسليح حزب الله"²⁰.

ويتطوع قادة 14 آذار لإفشاء أسرار تسليح المقاومة، فيطلب سعد الحريري من السفير الأميركي أن يتخذ "المجتمع الدولي" موقفاً "من قضية الحدود"، ويقترح "أن تفرض الأمم المتحدة عقوبات على سوريا"²¹. "أن السوريين استطاعوا أن يمدّوا حزب الله بـ /2500/ صاروخ قبل استهداف إسرائيل لطرقات الإمداد... ويصعب على الإسرائيليين استهداف الصواريخ المنفردة المخبأة في البلدات والقرى، دون التسبب بخسائر بشرية واضحة، وبمزيد من الإرباك الدولي". (إذا الخوف من الإرباك الدولي، لا من قتل المدنيين).

والى هذا يكشف سياسيو 14 آذار للسفير الأميركي ولأميركا، ومن ورائها "إسرائيل"، عن أسرار سلاح الإشارة التابع للمقاومة، إذ تذكر السفارة الأميركية في إحدى وثائقها²² أن جنبلات أثار " التقرير المتعلق بشبكة اتصالات حزب الله غير القانونية في لبنان" الذي كتب تحت

¹⁶ - البرقية 2665 مذكورة سابقاً

¹⁷ - البرقية 06BEIRUT 2553 - تاريخ 8 آب 2006 - الأخبار 2011/3/25

¹⁸ - البرقية 06BEIRUT 2544 - تاريخ 7 آب 2006، الأخبار 2011/3/19

¹⁹ - البرقية نفسها

²⁰ - البرقية 06BEIRUT 2551 - 7 آب 2006، الأخبار 2006/3/16

²¹ - البرقية 06BEIRUT 2706 - تاريخ 21 آب - الأخبار 2011/3/25

²² - وثيقة رقم 06BEIRUT 642 - بتاريخ 9 أيار 2008 (الأخبار 2011/4/5)

إشراف مروان حمادة... وسلم جنبلات القائمة بالأعمال (الأميركية) نسخة عن الخريطة التي تظهر شبكة الاتصالات (المذكورة).

ويركز السياسيون المذكورون على حرمان المقاومة من الاستفادة من المطار، حسب زعمهم، وقد تفاجأ الحريري أمام السفير من أن مطار بيروت الدولي لا يزال يستخدم في هذه الأهداف الشائنة²³ لذلك يجب استبدال الضباط الشيعة، وإن التحسين الأساسي سيتمثل في استبدال عناصر الجيش اللبناني الذين يؤثر عليهم حزب الله بعناصر أكثر استقلالية من الأمن الداخلي (ذات الأغلبية السنية) وهذا ما قام به الوزير أحمد فتفت²⁴. ويحاول الحريري أن يخدع السيد نبيه بري بالقول أن الأمم المتحدة تطالب بنقل ضباط الجيش اللبناني المتعاطفين مع حزب الله من محطة الشحن في مطار رفيق الحريري الدولي.²⁵

التلاعب بالقضايا الوطنية

يستخدم فؤاد السنيورة القضايا الوطنية الكبرى في مناوراته الرامية إلى استخدام الضغط ضد المقاومة لنزع سلاحها، فمزارع شبعا، كما يبلغ السفير الأميركي، هي "اختراع إيراني سوري".²⁶ وكان السنيورة يطلب إلى السفير الأميركي بان يعدّ المجتمع الدولي قضية مزارع شبعا قضية شرعية، كما طالب بان يذكرها الأمين العام في خطابه قريباً، وبهذه الوسيلة "سأتمكن أخيراً من أخذ سلاح حزب الله".²⁷ ويغضب السنيورة من سوء استخدام "إسرائيل" لـ"الممرات الإنسانية". إلا أن السفير يضغط عليه فيقرّر "من دون نقاش" بنظرية مفادها "احتمال استخدام حزب الله بعض المواكب التي تحمل مساعدات إنسانية لإمداد مقاتليه".²⁸

وأخيراً يبدي السنيورة للسفير الأميركي حرصه على مصالح "إسرائيل" كما "مصالح" لبنان، فمن خلال "النقاط السبع" تحصل إسرائيل على ما كانت تسعى إلى تحقيقه منذ عقود (إزالة المقاومة عن حدودها).²⁹

كما يبدي السنيورة حرصه على تلك المصالح من خلال حل مشكلة مزارع شبعا³⁰. ويأمل السنيورة "أن تنتبه إسرائيل" إلى كون بسط سلطة الدولة اللبنانية على الجنوب هو مفتاح أمن إسرائيل.³¹

²³ - البرقية 06BEYRUT 2602 12 آب - الأخبار 2011/3/16

²⁴ - البرقية 06BEIRUT 267 16 آب 2006 - الأخبار 2011/3/25

²⁵ - البرقية 06BEIRUT 2602 21 آب 2006، الأخبار 2011/3/25

²⁶ - وثيقة 06BEIRUT 2353 بتاريخ 13 تموز 2006، الأخبار 2001/3/15

²⁷ -- وثيقة 06BEIRUT 2672 بتاريخ 16 آب - الأخبار 2011/3/25

²⁸ - وثيقة 2353 مذكورة سابقاً

²⁹ - البرقية رقم 06BEIRUT 2601 - بتاريخ 12/8/2006 - الأخبار 2011/3/15

أما مهمة الجيش اللبناني فلم تكن التصدي للعدوان الإسرائيلي، بل مواجهة المقاومة. فالحريري يطمئن السفير الأميركي إلى أن انتشار الجيش في الجنوب "يعني بداية النهاية بالنسبة إلى حزب الله. إذا لعبنا أوراقنا بشكل صحيح". كما يعلن المر استعداد الجيش اللبناني للردّ على حزب الله، إذا حاول إطلاق النار على إسرائيل واستدراجها".³² ويؤكد المر أن الجيش لن يقع في فخ المواجهة مع "إسرائيل" في الجنوب.³³

ويفتخر الياس المر أنه خفض نسبة الشيعة في الجيش اللبناني من 58% إلى 36% وذلك تطميناً للسفير، ومن خلفه "إسرائيل".

والى هذا لا يتورّع بعض زعماء 14 آذار، وخاصة السنيورة، عن استخدام لغتين. ففي اجتماعه بالسفراء الأجانب بوجود وزير الخارجية السيد فوزي صلوخ، يقول السنيورة إن القرار المعروف على مجلس الأمن لن يحظى بموافقة حزب الله. وبعد مغادرة صلوخ يقول للسفراء: إن إقرار المشروع كما هو سعييد وضع لبنان "تحت السكين السوري".³⁴ ويقول السنيورة بخصوص مزارع شبعا، وفي خدعة جديدة، "يمكنكم وضعها في عهدة الأمم المتحدة، ولتبقَ كذلك عاماً أو مئة عام".

وبعد مجزرة قانا أعلن السنيورة رفضه استقبال وزيرة الخارجية الأميركية، لكنه يشرح الأمر للسفير في اليوم التالي، فيقول: "إن هذا الإعلان كان ضرورياً من الناحية السياسية، إذ أن لقاءه رايس كان سيؤدي إلى تبخّر صدقيته أمام الشعب اللبناني، وقدرته على التفاوض كانت ستتضرر كثيراً".

أما المر فلا يقلقه من نتائج مجزرة قانا إلا التعاطف مع حزب الله. فقد حذر أمام السفير الأميركي من أن دائرة التعاطف مع حزب الله تكبر تحديداً على ضوء الهجوم على قانا، وهو ما يعزّز صورة "حزب الله البطل".³⁵

ولا يكتفي قادة 14 آذار، بعد عجزهم عن تحقيق الأهداف، بتحريض العدو ضد لبنان ومقاومته، بل راحوا يسعون لإنشاء ميليشيات لمقاتلة المقاومة. فججمع يريد التأكد من أن واشنطن على علم بوجود 7000-10000 مقاتل مدرّب من القوات اللبنانية وهم جاهزون

30 - الوثيقة نفسها

31 - البرقية 06BEIRUT 2504 بتاريخ 2006/8/1 - الأخبار 2011/3/25

32 - الوثيقة 06BEIRUT 2553 بتاريخ 8 آب 2006 - الأخبار 2011/3/25

33 - البرقية 06BEIRUT 2583 بتاريخ 10 آب 2006

34 - الوثيقة رقم 06BEIRUT 2353 - 12 تموز 2006 - الأخبار 2011/3/15

35 - البرقية 06BEIRUT 2513 - 2006/8/1 - الأخبار 2011/3/16

للتحرك. "يمكننا القتال ضد حزب الله... لكننا بحاجة إلى دعمكم (الأميركيين) للحصول على أسلحة لهؤلاء المقاتلين، وإذا بقي المطار مغلقاً، يمكن تسهيل عمليات الإمداد البرمائية"³⁶. أما سعد الحريري فهو أكثر طموحاً لجهة عدد المقاتلين، إذ يثير جنبلط، أو يشكو من معلومات تتحدث عن تدريبات سعد للميليشيات السنوية في لبنان (حوالي 15000 فرد في بيروت وطرابلس) ويضيف جنبلط: أن إنشاء الحريري لشركاته الأمنية الخاصة في بيروت وطرابلس يدلّ على أن بعض الأشخاص يسدون نصائح سيئة له، كالمدير العام لقوى الأمن الداخلي، اللواء اشرف ريفي".³⁷

المحصلة

إن أسلوب الحرب الصلبة والناعمة، اللذين مورسا ضدّ منطقتنا وأمتنا، أديا باستمرار وبالمحصلة، إلى جعلها فئتين تتنازعان، فئة متأثرة بالغرب، وأحياناً مستقوية به، وفئة تواجهه وتتصدى لمشاريعه. إلا أن كلاً من هاتين الفئتين لم تبقَ دائماً هي هي، بل كانت تتغير مكوناتها تبعاً للظروف.

فقد استفاد الغرب من الانقسام الديني، بعد نشوء الدولة الإسلامية، وخاصة بعد أن دبّت في أوصالها عوامل التفكّك والانقسام، ليغزو بعض ثغورها في "الحرب الصليبية"، ويصطنع مؤيدين له من أبناء المنطقة، غير أن دولة مسلمة قوية عادت إلى الظهور وألحقت بالغرب هزائم كبرى. فلما ضعفت هذه الدولة، عاود الغرب هجومه، مستخدماً، أولاً، أسلوب الحرب الناعمة ليكسب النخب، فنجح في ذلك بداية، إلا أنه عندما عمد إلى الغزو، عاد فخرس قسماً منها. لكنه استطاع، بعد جلائه أن يستعيد ثقة شرائح ممن خسرهم بالتركيز على المصالح وعلى الأيديولوجيا. وبقي الفريق المتمسك بالأصالة مناهضاً له.

وكان أن زرع في قلب المنطقة الجسم الغريب "إسرائيل"، الذي يلتقي معه في المصالح، وقد استثار هذا الجسم الغريب الأكثرية الساحقة من شرائح أبناء المنطقة. إلا أنه ومع مرور الزمن، وبعد الهزائم التي منيت بها الأنظمة التي تصدت باسم الأمة، حصل خلط للأوراق، وانقسمت الأمة انقساماً جديداً، بين معترفين بالهزائم، وبين رافضين لهذه الهزائم عاملين على نفس نتائجها. وتقلص الميدان الواقعي للمعركة، لينحصر في لبنان وفلسطين، وإن يكن هنالك من يساند من خارج أرض المعركة، ممن سموا قوى الممانعة، في حين سمّي الآخرون دول الاعتدال.

³⁶ - البرقية 06BEIRUT 642 بتاريخ 9 أيار 2008 - الأخبار 2011/4/5
³⁷ - الوثيقة 06BEIRUT 490 بتاريخ 4 نيسان 2008 - الأخبار 2011/4/5

وفي لبنان, كما في فلسطين, كما في سائر أرجاء المنطقة العربية والإسلامية, تحوّل المترددون والمعترفون بالهزيمة, أو "المعتدلون", إلى حلفاء موضوعيين للأعداء, يتابعون معاركهم سياسياً وحتى عسكرياً, بل ويتماهون معهم, في بعض الأحيان, على أساس أن معركتهم واحدة. وفي هذا نجاح للحرب الناعمة, رغم الفشل الذي بدأ يلزم الحرب الصلبة. غير أن الأمور لم تستمرّ, على الوتيرة نفسها, بل راحت الأنظمة تهتز وتتساقط, خاصّة في جانب دول "الاعتدال", ويرد الغرب, وخاصّة أميركا, بتهديد قوى الممانعة, وما زال العصر الجديد في بداياته.